

الإقطاعيات الطائفية تبتلع أصوات الأقليات اللبنانية

اللبنانيون أمام تحدي إيجاد صيغ جديدة للنظام السياسي



لم يبق غير الدعاء للبنان

هذا الحراك الذي ضم مختلف الأطياف بكل تلويناتها الدينية والعرقية في مشهد كسر الحدود الطائفية التي شيدتها الزعامات التقليدية للحفاظ على وجودها، يشكل بارقة أمل لإمكانية قيام لبنان جديد يتسع للجميع، ويلفظ المحاصصة الطائفية التي أوصلته إلى هذه الحال.

في ذلك تفشي وباء كورونا قبل أن يعود ويتجدد بزخم أكبر عقب انفجار الرابع من أغسطس المدوي الناجم بحسب التحقيقات الأولية عن مواد شديدة الانفجار مخزنة منذ سنوات بطريقة غير سليمة في أحد مستودعات مرافق بيروت.

من حجمها، وهي إن غابت زعاماتها الروحية فهي حاضرة في الشارع تؤثر وتقاثر سلباً أو إيجاباً بحراكه. ويشهد لبنان منذ أكتوبر الماضي حراك احتجاجي غير مسويق نحت القوى السياسية والطائفية المهيمنة اليوم على السلطة في احتوائه، ساعداً

وكان الأمين العام لحزب الله أشار قبلها بيوم في كلمة خلال مجلس عاشورائي إلى أن "الأميركيين سعوا إلى فتح قنوات اتصال مع الحزب"، وعرضت علينا أموال وسلطة وتطویر النظام السياسي لصالحنا، مقابل التخلي عن قضيتنا، ولم نفعّل ولن نفعّل".

موقف نصرالله من العرض الأميركي والطرح الفرنسي لم يكن من منطلق مبدئي بل أيديولوجي وسياسي في الآن ذاته ذلك أن أي صيغة في هذا السياق ستفرض على الحزب لزاماً الخروج من

جلباب إيران والتمرد على ولاية الفقيه (ما لم يكن هناك اتفاق أشمل تكون إيران طرفاً رئيسياً فيه)، كما أن الحزب الشيعي يعي جيداً أن السنة والمسيحيين الموارنة لن يقبلوا بتمرير هذا الطرح وقد يؤدي الأمر إلى مواجهة معهما.

وكان حليف الحزب الماروني التيار الوطني الحر ووضاح حينما شدد رئيسه جبران باسيل مؤخراً على أنه لا مجال لتغيير النظام السياسي في هذا البلد دون تحقيق توافق داخلي، مع أن التيار لا يخفي تحفظاته على اتفاق الطائف الذي يرى أنه انتقص كثيراً من حقوق الموارنة لصالح السنة والشيعية، وبالتالي فإن أي صيغة مستقبلية يجب أن تضمن إعادة ما يعتبرها "تلك الحقوق المهدورة".

ولعل الحزب الماروني الأكثر صدى هو ذاك الصادر عن الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي الذي سارع قبل نحو شهر لطرح وصفة الحياد التي كان في أساسها قطع الطريق على أي صيغة تأتي على مكاسب الطائفة، وهي البطريك الماروني حشد التوجه بطلب للأمم المتحدة للضغط لتنفيذ هذه الوصفة القديمة الجديدة.

ولادة جديدة

بغض النظر عن الحسابات الكامنة خلف الحماسة الدولية لتأسيس عقد اجتماعي ونظام سياسي جديد في لبنان، فالنايات أن النظام الحالي لم يعد قابلاً للاستمرارية، ولئن يستغفر الشيعة والسنة والموارنة لمركبة التوافق ضمن هذا التغيير، تبدو الأقليات ومرجعياتها الدينية، وفق بعض الآراء، شبه غائبة عن المشهد ويقتصر بعضها على إطلاق مواقف رمادية من شأنها أن تزيد من حالة ضعفها.

في مقابل هذا الرأي فإن هناك من يعتقد أنه من المحجف تحميل تلك الأقليات التي تم تهيمتها سياسياً أكثر

تحديات تعصف بلبنان من كل حذب وصوب وتهدد بتحويله إلى ركاب، فيما الزعامات الطائفية التقليدية شغلها الشاغل تكريس تموقعها ولم لا تعزيمها مع حديث متواتر عن بحث في صيغ جديدة للنظام، وفي غمرة ذلك تبدو الأقليات العرقية والدينية في هذا البلد غائبة عن المشهد.

صابرة دوح

كاتبة تونسية



يحتفل اللبنانيون غداً الأول من سبتمبر بذكرى مؤبدة لبنان الكبير، ولسان حالهم يردد ماذا تبقى من هذا الكيان الذي نخرته الإقطاعيات السياسية وحولته إلى أشبه بكانتونات طائفية، يعيش بين زواياها الفساد والهدر والإهمال لتكون المحصلة انهياراً اقتصادياً ومالياً فاقمه انفجار بيروت المدمر قبل أكثر من ثلاثة أسابيع ليحصد معه عشرات الضحايا ويشرد الآلاف ويشوه وجه "عروس المتوسط" بيروت. لبنان الكبير الذي أعلن الجنرال الفرنسي هنري غورو قيامه من شرفة قصر الصنوبر في بيروت في مثل هذا التاريخ من عام 1920، لم يكن مجرد ضم مناطق جغرافية متصلة إلى متصرفية جبل لبنان، بل حمل معه تنوعاً طائفيًا وعرقياً نادراً (18 طائفة) استتبعته أحلام ببناء ديمقراطية تعددية ونظام اقتصادي ومالي نموذجي ما بعد الاستقلال (1943). مع مرور السنوات تداعت هذه الأحلام تدريجياً لتتحول هذه الفسيفساء البشرية "من نعمة إلى نقمة"، في ظل صراع بين الطوائف لاسيما بين الأقطاب الثلاثة، السنة والشيعية والمسيحيين الموارنة، وبدرجة أقل الدرروز ليلعب في فترات حد الصدام المباشر، فيما ظلت باقي الطوائف، من روم أرثوذكس وكاثوليك وأرمن (أرثوذكس وكاثوليك) وإنجليس ولاتين وكلدان وسريان وأشوريين وأقباط وعلويين، على الهامش تناضل للحفاظ على وجودها في ظل هذا الفضاء المشحون.

تجدد الأقليات الطائفية نفسها أمام تحدٍ أخطر كانت فرنسا الأعلى صوتاً في التحذير منه وهو إمكانية زوال لبنان

ولضمان استمراريته اضطرت بعض تلك الأقليات الطائفية للتخالف مع تلك الجهة وأحياناً أخرى الانضمام إلى الجهة المقابلة، فيما فضلت الغالبية البقاء على الحياد، وكان لكل خيار أثمانه، لاسيما خلال الحرب الأهلية بين 1975 و1990، التي كان البعد الإقليمي الحار باتفاق الطائف الذي كرس هيمنة الخالوث "السنة والشيعية والموارنة" على السلطة مع اختلاف الدرجات، في مقابل إسكات باقي الأقليات بمقعد نيابي من هنا ومنصب إداري من هناك.

الأقليات وتلاشي لبنان

اليوم تجدد الأقليات الطائفية في لبنان نفسها أمام تحدٍ أخطر كان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون



ضحية نظام طائفي موغل في الفساد

الأقليات الدينية والعرقية في لبنان

● الإنجليس

هم من سكان لبنان الأصليين، اعتنقوا هذا المذهب عبر الحملات التبشيرية، وأغلبهم موجودون في بيروت، وتحديدًا في منطقتي رأس بيروت والأشرفية، مرجعيتهم في لبنان هي القس جوزيف قصاب.

● العلويون

يعود وجود هذه الطائفة في لبنان إلى بدايات الانتداب الفرنسي على سوريا وتحديدًا بعد إقامة فرنسا دولة "جبل العلويين" (1920-1936) على الساحل السوري، الذي يضم آنذاك محافظتي اللاذقية وطرطوس السوريين وأجزاء من شمال طرابلس اللبنانية. وتتمركز هذه الأقلية اليوم في جبل محسن التابع لمحافظة طرابلس وفي سهل عكار. وقد جرى الاعتراف بالطائفة العلوية في لبنان بعد اتفاق الطائف 1989، وتملك هذه الطائفة تمثيلية في البرلمان اللبناني (2 نواب). مرجعيتهم رئيس المجلس الإسلامي العلوي في لبنان الشيخ محمد العصفور.

● الإسماعيليون

قدموا إلى بلاد الشام من العراق هرباً من السلطة العباسية. وهم أقلية، ولا يتخذون مكاناً محسداً لإقامتهم. ومرجعيتهم الدينية خارج لبنان.

● الأقباط الكاثوليك والأرثوذكس

تم الاعتراف بالأقباط في لبنان في 1996. مرجعية الكاثوليك من هذه الطائفة الأب أنطونيوس مقار إبراهيم، ومرجعية الأرثوذكس المطران سليم باتير

عقائدياً إلى الفاتيكان. مرجعيتهم بطريك أنطاكية وسائر المشرق يوسف الأول عبيس.

● الأرمن الأرثوذكس والكاثوليك

هم أقلية عرقية دينية تتمركز في منطقة جبل لبنان والبقاع (بلدة عنجر) ومدينة طرابلس. مرجعية الأرمن الأرثوذكس وهم الأغلبية يمثلها الكاثوليكوس آرام الأول كشيشيان، ومرجعية الأرمن الكاثوليك المحلية هي ترسيب نازاريان. يشارك الأرمن في الحياة السياسية في لبنان بحزب يتيم هو حزب الشنتاق الذي تأسس عام 1890 في جورجيا في سياق النضال ضد الدولة العثمانية، قبل أن ينشئ طلاب جامعات يسوعية في لبنان أول خلية للحزب عام 1902.

● السريان الكاثوليك والأرثوذكس

من أقدم الأقليات الدينية في لبنان، مرجعية السريان الكاثوليك البطريك إغناطيوس يوسف الثالث يونان بطريك أنطاكية وسائر المشرق، ومرجعية السريان الأرثوذكس البطريك إغناطيوس أفرام الثاني كريم.

● الكلدان والأشوريون

وقد أبناء هاتين الأقليتين العرقيتين المسيحيين من العراق، ويتمركز الكلدان أساساً في العاصمة اللبنانية بيروت، ومرجعيتهم البطريك مار

مار لويس روفائيل الأول ساكو في بغداد، فيما يقطن الأشوريون في بعض مناطق بيروت وجبل لبنان.

● الدرروز

يعرفون بالموحدين، وقد سكنوا جبل لبنان وخصوصاً قضاءي الشوف والعالية. ويدير شؤون هذه الطائفة مشيخة العقل، وهي مؤسسة قديمة العهد إلا أنها حصلت على صيغة رسمية عام 1962، ويتنازع اليوم على هذه المشيخة الشيخ نعيم حسن المدعوم من قبل الجنبلاطين (الزعيم وليد جنبلاط) وناصر الغريب المدعوم من الأرسالين (رئيس الحزب الديمقراطي طلال أرسلان).

لعب الدرروز دوراً بارزاً على مر تاريخ لبنان الحديث، وكانوا كغيرهم من الطوائف مسكونين بهاجس الحفاظ على الوجود، هذا الهاجس تعاضد في السنوات الأخيرة وهو ما يفسر أن زعامتهم السياسية بقيادة جنبلاط كانت الأعلى صوتاً واتخذت، إثر تفجر الوضع في لبنان خلال أكتوبر الماضي نتيجة الأزمة الاقتصادية والمالية التي تضرب البلاد، مسافة من العهد الحالي الذي يقوده الرئيس ميشال عون.

● الروم الأرثوذكس

ثانية كبرى الطوائف المسيحية في لبنان بعد الموارنة ورابع أكبر تجمع ديني في البلاد. يتمركزون أساساً في منطقة الكورة شمال لبنان ومنطقة الأشرفية في العاصمة بيروت، ومرجعيتهم بطريك أنطاكية وسائر المشرق يوحنا العاشر يازجي (مقره في سوريا).

● الروم الكاثوليك

يُعرفون بالملكين. كانوا قد انفصلوا عن روما ثم عادوا إليها. وهم يختلفون عن الروم الأرثوذكس بكونهم تابعين